



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد:

منذ فتره لم أره ضاحكا، نعم يتبسّم أحياناً، لكن الحزن والكآبة أبداً ظاهران على محياه، يكثر السؤال عن أحوال المسلمين،
يتبع أخبار الاضطهاد والقتل والتشريد.. قال لي يوماً:

- أَحْمَد!.. أُولَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَأَعْدَأْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَلْتَ: بَلَى!!

- أُولَسْنَا فِي صَفِ الرَّحْمَنِ، وَهُمْ فِي صَفِ الشَّيْطَانِ؟ قَلْتَ: بَلَى!!.

- أُولَسْنَا نَدْعُو إِلَى الْفَضْيَلَةِ وَهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الرَّذِيلَةِ؟

ولسنا مساملين لا نعتدي ولا نظلم وهم السفاحون الخونة؟.. قلت: بلـى.. بلـى!!

- فَلِمَذَا لَا يَنْصُرُنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ؟ لَمَذَا نَبْقَى فِي اضطهادٍ وَتُشْرِيدٍ؟..

أكاد أجن! بل لو جاز قتل النفس لفعلت، ما نفيق من ألم صفة إلا تتبعها أخرى! من الاعتداء على أفغانستان، إلى مذابح كشمير، وهدم المساجد في الهند، و... وآلام وويلات في بلاد الإسلام، حتى بلغنا من الذل أن ذبح الشياه في البوسنة والهرسك، ثم في كوسوفا.. ولا ندرى أين يكون الجرح القادر..

أطفال يتامى.. نساء أرامل.. فتيات يحملن في أحشائهن أبناء المعذبين! لم يستطعن أن يحصلن ولو على حبوب منع الحمل..

إلى متى يستمر حال الأمة هكذا؟! صار المسلم الآن لا ينتظر إذا أصبح إلا خبراً مبكياً، أو موتاً منسياً.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

ثم بكى!.. بل اشتد بكاؤه.. وهو ينظر إلي.. ينتظر أن أشاركه النياحة!!..

أدخلت يدي في جيبي وناولته منديلاً يمسح به بقية همه وغمّه، ثم قلت له:

- خالد! لا تحزن إن الله معنا.. إن نصر الله قريب.. إِيٰ وَاللَّهُ إِنَّهُ قَرِيبٌ، وما يصيّب أُمَّةَ الْإِسْلَامِ إِلَّا آلامًا مَا قَبْلَ الْوِلَادَةِ.. نعم ولادة النصر والتمكين لهذا الدين.

والدين منصور وممتحن فلا *** تعجب فهذى سنة الرحمن

واستمع إلى هذه البشائر:

قال تعالى: "يُرِيدُونَ لِيُطْفُقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" [الصف: 8-9]، وقال سبحانه: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلْمَاتُنَا لِعِبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَانْجَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ" [الصفات: 171-173]، وقال عز وجل: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" [النور: 155].

فهذه كلها وعود جازمة بالنصر والتمكين، وعدنا بها من بيده ملك السماوات والأرض، وعدنا بها من قلوب العباد، وعقولهم، ونواصيهم، وقواتهـم، وأسلحتـهم، وخطـياتـهم، بيدهـ وحدهـ لـاشـريكـ لهـ.. فـهلـ تـنـكـرـ منـ ذـلـكـ شـيـئـاـ؟..

ثم لا تنبهـ عـيـنكـ منـ كـثـرةـ الـكـافـرـينـ وـتأـلـبـهـمـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ، وـلـاـ تخـشـ منـ أـسـلـحـتـهـمـ، وـتـطـورـهـمـ، وـظـهـورـهـمـ، فـإـنـ كـيـدـهـمـ مـهـماـ عـظـمـ فـهـوـ ضـعـيفـ: "إـنـهـ يـكـيـدـونـ كـيـداـ، وـأـكـيـدـ كـيـداـ، فـمـهـلـ الـكـافـرـينـ أـمـهـلـهـمـ روـيـداـ" [الطارق: 15-17]، نـعـمـ أـمـهـلـهـمـ روـيـداـ.. وـقـدـ يـكـوـنـ هـذـاـ الرـوـيـدـ سـنـةـ أـوـ سـنـتـيـنـ أـوـ عـشـرـ أـوـ عـشـرـيـنـ أـوـ أـلـفـاـ.. لـكـنـهـ روـيـدـ مـهـماـ طـالـ، وـهـمـ مـعـ اـجـتـمـاعـهـمـ، وـاتـفـاقـهـمـ عـلـىـ حـربـنـاـ، إـلـاـ أـنـهـ وـالـلـهـ يـوـشـكـوـنـ أـنـ يـخـتـلـفـوـ وـيـقـتـلـوـ، وـيـكـفـيـ اللـهـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـقـتـالـ "تـحـسـبـهـمـ جـمـيـعـاـ وـقـلـوبـهـمـ شـتـىـ" [الـحـشـرـ: 14ـ].

واستمع إلى هذه البشائر:

عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله يقول: {ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الشرك} [أخرجـهـ أـحـمـدـ وـالـحاـكـمـ، وـصـحـحـهـ الـأـلـبـانـيـ].

وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله قال: {تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جباراً، ف تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة} [أخرجـهـ أـحـمـدـ، وـصـحـحـهـ الـعـرـاقـيـ، وـالـأـلـبـانـيـ].

وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال: {لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك} [رواه مسلم].

وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن رسول الله قال: {بَشَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالنِّسَاءِ، وَالنَّصْرِ، وَالْتَّمْكِينِ، وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلٌ لِلْآخِرَةِ لِلْدُنْيَا؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ} [أخرجه أحمد، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني].

هل تعلم؟!! سوف نقاتل اليهود! نعم اليهود، الذين نجري الآن وراءهم نستجديهم السلام! سوف نقاتلهم، بل سوف نقتالهم، ويقاتلهم معنا كل شيء حتى الحجر والشجر!.

عن أبي هريرة أن رسول الله قال: {لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتَلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ} [رواه البخاري ومسلم].

وسوت نفتح مأرز النمرانية، ونسطير على أرض الفاتيكان، سوف نملك "روما" ونحكمها بالإسلام، نعم.. النصارى الذي يرسمون الصليبان بالسكاكين على صدور المسلمين في كوسوفا، قبلها في البوسنة، قبلها في بقاع كثيرة.. سوف يؤدون لنا الجزية عن يد وهم صاغرون، إلا أن يدخلوا في الإسلام..

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: {بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدُ رَسُولِ اللَّهِ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ: أَيُّ الْمَدِيَّتَيْنِ تَفْتَحُ أُولَاهُنَّ؟ أَقْسَطْنَطْرِيَّةُ، أَمْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "مَدِيَّنَةُ هَرْقَلِ تَفْتَحُ أُولَاهُنَّ، يَعْنِي الْقَسْطَنْطِنْتِيَّةَ} [أخرجه أحمد، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، والألباني].

وهناك بشائر أخرى، منها:

أن دين الإسلام: هو الدين الذي يتواافق مع فطرة الإنسان، ويكفل له سعادتي الدنيا والآخرة، ولا يمكن أن يعيش الناس في أمن وسعادة في ظل دين آخر..

جرائم الاغتصاب، والسرقة، والقتل، بل والتفكك الأسري، والأمراض النفسية، كلها في إزدياد يوماً بعد يوم في أكثر البلاد تطوراً وحضارة، ولماذا؟ لأن أديانهم الباطلة والمحرفة لم تفلح في تعليق قلوبهم بالآخرة..

في أمريكا: في عام 1997: أصبح الذين لديهم خبرة في الأجرام بمختلف أنواعه 8، 34 مليون، منهم 74% جرائمهم كبيرة جداً!! ومن كل: 1000 شخص، تم القبض على: 199 سارقاً!! [تم استخراج هذه المعلومات، وما بعدها، من إدارة الإحصاءات الأمريكية]

ووصل معدل الجريمة خلال عام واحد إلى 25. 14 مليون جريمة!!

وبلغت نسبة الطلاق 60% من عدد الزيجات!!

ويغتصب يومياً 1900 فتاة!! 20% منهن يغتصبن من قبل آباءهن!!

فهل تظن أن مجتمعاً مثل هذا يظل منصراً متمكناً؟!: (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَدَا) [مريم: 84]

ومن البشائر: ما نشاهد يوماً بعد يوم في بلاد الإسلام، من إقبال الناس على التمسك بالدين، والاهتمام بأحكامه، بل وفي غير بلاد الإسلام نرى، ازدياد الداخلين في الإسلام.

أما ما نشاهد اليوم من اضطهاد، وقتل، وتشريد للمسلمين، فهو لا يعني أن الأمة سيستمر حالها هكذا، لا، بل سيأتي يوم ينتصر فيه الإسلام، وعندما يأتي ذلك اليوم، فماذا يعني عمر جيل من البشر؟ أو أجيال؟ النصر قادم.. ليس المهم متى سيأتي

النصر، لكن المهم أنه سيأتي، مهما وقع من المصائب والألام.. سيأتي (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم:47].

ولو قلبت صفحات التاريخ، لرأيت أنه قد حل بال المسلمين في أزمان مضت، مذابح، ومصائب، تشيب منها مفارق الولدان!! ثم لما حاسب المسلمين أنفسهم، ولجئوا إلى ربهم، كشف الله كربتهم، وأبدل خوفهم أمنا، وذلهم عزا..

ومن ذلك: ما حل بال المسلمين عام 656 هـ لما نزل التتار ببلاد الإسلام، وانتهيوها، حتى وصلوا إلى بغداد - عاصمة الخلافة وقتئذ - فحاصروها، ثم قتلوا الخليفة، وجنته، وحاشيته، واستباحوا بغداد أربعين يوما يقتلون ما نالته أيديهم من الرجال والنساء والصبيان.. لم يكن لجنود التتار شغل إلا: القتل.. القتل..

أتدري كم قتل من المسلمين خلال الأربعين يوما؟ ذبحا بالسكاكين، وطعنوا بالرماح، وتغريقا في دجلة؟!

إليك ما ذكره الإمام ابن كثير في تاريخه، واصفا الحال، كله، قال - رحمه الله - : "ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال، و النساء، والولدان، والمشائخ، والكهول، والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، ومكثوا كذلك أيام لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، ففتحتها التتار إما بالكسر وإما بالنار، فيهرب الناس إلى السطوح، فيقتلونهم هناك حتى جرت المياه بالدماء في الأزقة!!

وقتل خلال الأربعين يوما ألفا وثمانمائة ألف!! فإنما لله وإنما إليه راجعون.. وكان الرجل يستدعي فيخرج بأولاده ونسائه فيساقون إلى المقبرة ثم يذبحون ذبح الشياه، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه..

ولما انقضت الأربعون خرج التتار من بغداد، وبقيت خاوية على عروشها، القتلى في الطرقات كالثالث، وسقط عليهم المطر فأنتنوا، وتغير الهواء، ووقع بسبب ذلك وباء مات بسببه خلق في الشام من سريان الهواء الفاسد إليهم!!

أما من كان مختبئا في المقابر والمطامير، فخرجوا بعد الأربعين يوما كأنهم موتى نشروا من قبورهم.. قد أنكر بعضهم بعضا.. لا يعرف الوالد ولده.. ولا الأخ أخيه.. فلم يثبتوا أن أصحابهم الوباء فتصرعوا، ولحقوا بمن مضى، واجتمعوا تحت الثرى، بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنة" أ. ه [ج 13/ 215 بتصرف].

وبعد هذه المحنة العظيمة، كشف الله - تعالى - الكربة، ورفع البلاء، وراجع المسلمين دينهم، وعاد لهم عزهم ومجدهم: (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثيرون)[الشورى:30].

ووقوع ذلك البلاء عليهم، بل ووقوع غيره قبله وبعده إلى زماننا هذا، لا يعني أن الله - تعالى - يبغض المسلمين، أو يفضل عليهم الكافرين، ولكن (قل هو من عند أنفسكم)[آل عمران:165]، (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)[الرعد:11].

ولعله يسأل سائل فيقول: كيف يكون المستقبل للإسلام؟ والأعداء قد اجتمعوا عليه وتكلبوا من كل جهة؟ وقد سلطوا عذابهم ونيرانهم على المسلمين عامة، وعلى الدعاة إليه والمتمسكين به خاصة؟ كيف والأعداء يملكون القنابل النووية، والأسلحة الفتاكية، والمسلمون عزل من السلاح؟

إن هذا السائل ليensi: أن الذي ينصر المسلمين هو الله - جل شأنه - لا جهدهم ولا قوتهم: (قَاتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ)[التوبه:14]، فالMuslimون سبب لتحقيق قدر الله وإرادته: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)[الأنفال:17].

ويensi هذا السائل: أن الله يسبح له من في السموات ومن في الأرض، وما يسبح له قنابل هؤلاء وأسلحتهم وسجونهم

وينسى هذا السائل: أن الله إذا أراد أمرا، فإنما يقول له: كن، فيكون: (وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلْمَحٌ بِالْبَصَرِ) [القمر:50].

وينسى هذا السائل: أن الأعداء وصلوا إلى هذا المستوى الهائل من القوة والتمكين، بجهدهم البشري، وهو ليس حكرا على أحد، فالمسلمون قادرون على أن يسيروا في طريق التقدم العلمي والمادي مع المحافظة على الأصول الإسلامية، بل يمكن أن يبدعوا من حيث انتهى غيرهم، بل لو وقفت فاحصا عن العقول التي شاركت في صنع هذه القنابل والأسلحة المتطورة لوجدتها لا تخلو من عقول إسلامية.

وينسى هذا السائل: أن الإسلام الذي انتصر -أول ما ظهر- على الرغم من كيد قريش واليهود وشركى العرب، بل بالرغم من كيد فارس والروم، والصلبيين والتنار، هو الذي تواجهه الآن القوى المختلفة المتنازعة فيما بينها، من النصارى واليهود، "كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبِنَا أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" [المجادلة:21]، وصدق الله إذ يقول: "فَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتُكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ، وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظَرُونَ، وَلِلَّهِ غَيْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبِّكَ بِغَافِلٍ، عَمَّا تَعْمَلُونَ" [هود:121-123].

ولكن هناك أمور لا بد أن نراعيها لنجذب النصر:

أولها: أن نصلح حالنا مع ربنا -جل جلاله- وأهم ذلك أن نخلص التوحيد له وحده -سبحانه-. ونخلص من جميع صور الشرك، كدعاء غير الله، أو الاستعانة بغير الله، أو تعظيم القبور وبناء المساجد عليها، أو الحلف بغير الله، أو غير ذلك من صور الشرك.

ثانياً: أن نقوى علاقتنا بالله -عز وجل- وأول ذلك أن نحرص على إقامة الصلوات الخمس، مع ما استطعنا من التوافل، مع الإكثار من تلاوة القرآن و الذكر.

ثالثاً: أن نحاسب أنفسنا: لماذا وقعت علينا هذه العقوبات؟ إذ كيف ينصرنا الله ونحن نعصيه بأسماعنا وأبصارنا؟ ثم: هل ربينا أولادنا على الإسلام؟ هل علمناهم الصلاة؟ هل حفظناهم القرآن؟ هل حجبنا نساءنا؟ "أَوْ لَمَا أَصَابْتُكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قَلْمَأْنِي هَذَا قَلْ هُوَ مِنْ عَدْ أَنْفُسِكُمْ" [آل عمران:165].

رابعاً: أن يبذل كل واحد منا ما يستطيع من جهود: مالية، وبدنية وفكرية، لنشر الخير، ودعوة المسلمين جميا.. مهما كلفنا ذلك، ومهما بذلنا من جهد ووقت ومال، فإن هذا قليل في سبيل انتصار الدين وظهوره..

انظر! كم يبذل الأعداء من جهود وأموال في سبيل إضلال المسلمين، وتغييبهم عن واقعهم، من خلال مجالات مجانية، أو قنوات هابطة، أو من خلال دعوات صريحة إلى التبرؤ من الإسلام، واستبداله بالنصرانية أو العلمانية اللادينية!! والله لو بذلنا نصف ما يبذلون لتغيرت أحوال عالم كله، ف يا ليت قومي يعلمون.

خامساً: أنه مهما طال أمد انتظار النصر فلا ينبغي أن نيئس من حصوله، عن خباب قال: {أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ مَتَوَسِّدٌ بِرَدَةٍ لَهُ فِي ظَلِّ الْكَعْبَةِ - وَلَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَدَّةً - فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَدْعُوا اللَّهَ لَنَا؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مَحْمَرٌ وَجْهُهُ، فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِيمْشِطُ بِمَشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصْبٍ مَا يَصْرُفُهُ ذَلِكُ عَنْ دِينِهِ، وَيُوَضِّعُ الْمَنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقِّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرُفُهُ ذَلِكُ عَنْ دِينِهِ وَلِيَتَمَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يُسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءِ إِلَى حَضْرَمَوْتِ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهُ} [رواه البخاري].

سادساً: أن نزرع في نفوس الناس الثقة بهذا الدين وانتصاره، ونشر بينهم النصوص الشرعية، والدلائل الواقعية التي تؤكد ذلك.

سابعاً: لا ينبغي أن نستمع إلى المخذلين، وضعفاء الأيمان، الذين استسلموا لأعدائهم، وأعطوهم قيادهم، وأليسوا من رحمة الله ونصره "إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا أَعْدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا" [الأحزاب:12] هذا حال المنافقين، أما المؤمنون فإنهم "وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا" [الأحزاب:22].

وصلى الله على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

رابطة علماء المسلمين

المصادر: